

## العمل الجماعي مدخل للاحتكاك بالسياسي في الطرق الصوفية

*Associative work is an entry point for political contact in the Sufi orders*

l'associatif un accès pour confronter le politique dans les confréries soufis

موشريط اسماعيل<sup>1</sup>، زاوي مصطفى<sup>2</sup>

تاريخ النشر: 2023/12/15

تاريخ القبول: 2023/03/28

تاريخ الإرسال: 2022/05/09

ملخص:

العمل الجماعي داخل الطريقة الصوفية \_ الطريقة العلوية نموذجاً \_ كمدخل نحاول من خلاله ملامسة مجالات حضور السياسي في الحقل الديني و الروحي . فتبني الطريقة للعمل الجماعي المدني موازاتاً مع دورها الروحي التربوي قد تؤسس بذلك لنفسها مكانة جديدة في الفضاء العام تضعها في مواجهة مع فاعلين على اختلاف بنياتهم و توجهاتهم . لتقارب بذلك الطريقة أو الزاوية سواء بطريقة أو بأخرى مجالات سوسيو\_ سياسية طالما صنفنا على أنها دنيوية (مدنسة ) لا يليق بالديني (المقدس) الاهتمام بها. استعملنا في هذه الدراسة مقارنة سوسيو انثربولوجية ، موظفين تقنيتين أساسيتين في جمع المعطيات ، الملاحظة المباشرة للأحداث و ناشطات الجمعية ، و المقابلات المباشرة و غير المباشرة. شملت هذه المقابلات مناضلين عاديين في الجمعية و أشخاص مسؤولين، و من الجنسين رجال و نساء.

الكلمات المفتاحية: الطريقة ؛ المرشد ؛ الدولة ؛ الجمعية ؛ المواطن

**Abstract :**

It Associative work within the Sufi order .as an entrance through which we try to touch the fields of political presence in the religious and spiritual field. Adopting the method for civil association work in parallel with its spiritual and educational role may thus establish a new position for itself in the public space, placing it in confrontation with actors of different structures and orientations. In this way, the way or the corner, whether in one way or another, converge into socio-political fields as long as they are classified as mundane (profane), it is not appropriate for the religious (sacred) .In this study, we used a socio-anthropological approach, using two basic techniques in data collection, direct observation of the events and activists of the association, and direct and indirect interviews. These interviews included ordinary fighters in the association and responsible persons, and of both sexes, men and women

**Keywords:** Sufi orders ; disciple ; state ; Association ; The Citizen

\*المؤلف المراسل

<sup>1</sup>Ismail Mouchrit, university of Oran 2,crasc: Algéria, mouchrit.dz@gmail.com,<sup>2</sup>Mustapha Zaoui, University of Oran 2, Algéria, Zaoui@gmail.com.

**Résumé :**

Travail associatif au sein de l'ordre soufi - l'ordre Alaouite comme modèle - comme point d'entrée par lequel on essaie de toucher les zones de présence politique dans le domaine religieux et spirituel. L'adoption de la confrérie Alaouite au travail associatif civil, parallèlement à son rôle spirituel et éducatif peut ainsi s'imposer une nouvelle place dans l'espace public qui la met en confrontation avec des acteurs et des structures différentes. Faire converger par cette manière d'agir d'une manière ou d'une autre, des champs socio-politiques tant qu'ils sont classés comme mondains (profanes) auxquels il n'appartient pas au religieux (sacré) de prêter attention. Dans cette étude, nous avons utilisé une approche socio-anthropologique, utilisant deux techniques de base dans la collecte de données, l'observation directe des événements, et l'entretien direct et indirect avec des membres de l'association. Ces entretiens ont inclus des militants ordinaires de l'association et des responsables du deux genre.

**Mots clés :** Confrérie soufi ; disciple ; Etat ; Association; Citoyen.

**مقدمة**

يجب يعتبر العمل الجماعي أحد أوجه المجتمعات الحديثة، أين يتشكل الأفراد في شكل جمعيات أو تنظيمات مختلفة للدفاع عن مصالح فئات معينة أو الاهتمام بمجالات وميادين لا تحضي بالرعاية اللازمة من الدولة. لكن الظاهرة التي نحن بصدد دراستها في هذا المقال هي نشأة هذا التنظيم الحديث داخل إطار روحي، تقليدي و هو الطريقة الصوفية. قد لا تكون هذه الظاهرة حديثة لكن ظهورها المتميز في الفضاء العام على المستوى المحلي و الوطني و حتى العالمي قد يمنحها أبعدا أخرى. المؤسسة المتوسطة للتنمية المستدامة، المعروفة باسم "جنة العارف" أحد صور هذا التمازج بين الفضائين المدني و الروحي، التي تم تأسيسها من قبل شيخ الطريقة العلوية حاليا بالجزائر الشيخ خالد بن تونس. ما نحاول دراسته هو كيف تكون الجمعية مدخلا تبني من خلاله الطريقة الصوفية علاقة بالسياسي على مختلف أشكاله و مستوياته و تضع الفاعلين الجماعيين بين رهانات عديدة يختلط فيها وضعية المريد في الطريقة بالمواطن الفاعل في التنظيم المدني.

العمل الجماعي داخل الطريقة الصوفية \_ الطريقة العلوية نموذجا \_ كمدخل نحاول من خلاله ملامسة مجالات حضور السياسي في الحقل الديني و الروحي. فتبني الطريقة للعمل الجماعي المدني موازاتا مع دورها الروحي التربوي قد تؤسس بذلك لنفسها مكانة جديدة في الفضاء العام تضعها في مواجهة مع فاعلين على اختلاف بنياتهم و توجهاتهم. لتقارب بذلك الطريقة أو الزاوية سواء بطريقة أو بأخرى مجالات سوسيو- سياسية طالما صنفنا على أنها دنيوية (مدنسة) لا يليق بالديني (المقدس) الاهتمام بها. تعتبر الطريقة العلوية أحد أبرز الطرق الصوفية في الجزائر التي تبنت فكرة العمل الجماعي، و ذلك منذ فترة مشيخة الشيخ العلوي إلى غاية الشيخ الحالي خالد بن تونس. أنشئت الطريقة العديد من الجمعيات في مختلف المجالات. لكن ابرز هذه الجمعيات هي المؤسسة المتوسطة للتنمية المستدامة و المعروفة باسم جنة

## « la fondation méditerranéenne pour le développement durable » العارف

المعروفة باسم جنة العارف نسبة للمكان الذي تنشط فيه المؤسسة.

السؤال الذي يمكن طرحه و هو لماذا اعتمد الشيخ خالد بن تونس المؤسسة المتوسطة للتنمية المستدامة؟

ماهي القضايا التي تدافع عنها المؤسسة وماهي مجالات تدخلها؟

ماهي إستراتيجيتها في التحرك و العمل مع مختلف الفاعلين في الفضاء العام؟

أي وساطة تقوم بها الجمعية بين الطريقة و المؤسسات العمومية؟ و كيف يتم توظيفها للعب هذا الدور؟

الفرضية التي يمكن الانطلاق منها هي أن إنشاء الجمعيات من قبل الطريقة الصوفية العلوية هي إستراتيجية منها

للولوج إلى الفضاء العام و الدخول في علاقة مع السياسي الشيء الذي قد يتعذر على هذه الأخيرة ممارسته بالنظر إلى

تركيبتها و بنيتها التي لا تتناسب و البناء المؤسساتي الحديث للإدارات العمومية للدولة القائم على المنطق البيروقراطي في

العمل و تسيير الشأن العام .

نقسم الدراسة إلى ثلاثة أجزاء ، نتطرق في الجزء الأول للطريقة العلوية ، منهجها في التصوف و العمل . و تبنيتها

لفكرة العمل الجماعي .

الجزء الثاني نخصه للمؤسسة جنة العارف (المؤسسة المتوسطة للتنمية المستدامة ) ، تأسيسها ، دورها ، علاقتها

بالفاعلين المحليين .

الجزء الثالث نحاول أن نقف على الوساطة التي تضطلع به المؤسسة ، و التوظيفات السياسية لهذه الأخيرة في الفضاء

العام .

و في عنصر أخير نعمل على إثارة مفهوم المواطنة و ماهي تطبيقاته و أشكاله ضمن فضاء يتداخل فيه الروحي ممثلاً

في الطريقة الصوفية العلوية بالمدني ممثلاً في مؤسسة جنة العارف .

### 1- العمل الميداني بين التفاوض و الحذر

الدخول أو الولوج إلى مجتمع البحث من اجل الملاحظة و المشاركة في أعماله يفرض على الباحث المرور عبر التفاوض ،

كما أنه على الباحث كل مرة التأقلم و التعامل مع الوضع المختلف، إيجاد دور جديد، محاولة فرض مكانته, F.Bouillon,

(2006,p.15). فكل مرة أقدم الميدان بطريقة حسب الشخصيات التي التقيتها وحسب الأوضاع و الظروف التي أراها

ملائمة.

الخطوات الأولى في الميدان كانت بمقابلة احد الباحثين . و هو مكلف بالأرشيف في المؤسسة ، تم لقاءه عن طريق

أحد أعضاء المشروع الأستاذ ب.رزقي.

المبحوث شخص متمكن في مجال عمله ن يتحدث باللغتين الفرنسية و العربية ، تلقى تكويننا في مركز البحث المعروف في فرنسا (CNRS) حول كيفية حفظ المخطوطات و وضعها في قاعدة بيانات . كما أن المبحوث يقوم على مكتبة داخل مقر مؤسسة جنة العارف .

تجنبت ذكر أهداف العمل الميداني ، ( بحث علاقة الطرق الصوفية بالسياسي ) ، فكل باحث لا يمكن ان يذكر كل أهداف التحقيق الميداني كما هو " (G.Lapassade, 1991,p.40) ، خاصة و أن المبحوثين كما سنرى في المقابلات المقبلة يصرون على أن نشاطاتهم لا علاقة لها بالسياسة .

مقر المؤسسة يجمع بين البعد الروحي التعبدى و البعد العصري و الحدائى، فهو فضاء لممارسة نشاطات المؤسسة من ملتقيات ، دورات تكوينية ، محاضرات ، كما قد تستعمله الطريقة العلاوية في الاحتفال بالمناسبات الدينية ، أو المناسبات الخاصة به (كالاحتفال بمئوية الطريقة).

تعمل الجمعية من أجل المحافظة على استقلاليتها أكثر على تجهيز مقرها بالعديد من المرافق التي تدعم توجهها ، تمتلك المؤسسة مطعما مجهزا تستغله في الملتقيات و النشاطات التي تنظمها ، في نفس السياق يضم المقر غرفا توظفها في الإيواء بمبالغ تضمن لها استمرارية نشاطها . و هذا ما صرح به احد المبحوثين "دون هذه المبالغ لا يمكننا ضمان استمرارية نشاطاتنا، خاصة و أننا لا نتلقى أي دعم من الجهات الرسمية ، نعتمد على التمويل الذاتي لنشاطاتنا" .

في مقابل البناء، حديقة تحمل محطات نلاحظ فيها مزج المؤسسة بين البعد الروحي الصوفي للطريقة و نضالها في الفضاء العام حول قضايا البيئة ، ثقافة السلم ، تكوين الشباب .

استطعت بعد موافقة أعضاء الجمعية، حضور الجمعية العامة لمؤسسة جنة العارف، كخطوة للاندماج أكثر في الميدان و الوقوف أكثر على ممارسات أعضاء المؤسسة ، تم عرض حصيلة نشاطات المؤسسة بمختلف الفروع التابعة لها في الولايات الأخرى منها فرع غليزان. من بين الحاضرين في الجمعية الأخ الأكبر للشيخ خالد بن تونس. و هو رئيس المؤسسة . قد يكون عمل الباحث و تواجده في الميدان غير مرغوب فيه ، أو أن وجوده لا يبعث على الارتياح . فقد أثار

وجودي في الجمعية العامة انزعاج ابن أخ الشيخ الأكبر ، حيث استدعاني عن طريق أحد الحاضرين من داخل الاجتماع و سألتني عن سبب وجودي بالجمعية ؟ شاب في العشرينيات من عمره، يحضا باحترام الحاضرين ، أجبت عن سؤاله بأنني موجود بدعوة من أحد الأعضاء، قدمت نفسي بأنني باحث بالكراسك و اشتغل حول محور بحث يهتم بالطريقة العلوية و بالعمل الجمعي . يبدو أن الشاب لم يرتاح لوجودي فملاحه تشير إلى عدم الرضا و الارتياح لوجودي بمؤسسة جنة

العارف. هدي من عرض التجربة الميدانية هو ألا أنقل للقارئ فقط المعلومات و النتائج التي تتعلق بالموضوع ، و لكن أيضا نقل التجربة الميدانية، الظروف التي تم فيها العمل الميداني، و المنهجية التي من خلالها تم التوصل إلى نتائج الدراسة (M.Kilani, 1987,p39\_37). العمل الميداني ليس علاقة تقنية لجمع المعطيات ، طرح أسئلة و انتظار تلقي أجوبة محددة. فهي مسار يبني فيه الباحث علاقة مميزة بالميدان، يحاول الاندماج أكثر في حياة المبحوثين، و يعمل على كسب ثقتهم حتى يستطيع الوصول إلى المعاني الخفية لممارسات و خطابات الفاعلين ( M.Mebtoul, 1999,p.57).

## 2- المؤسسة المتوسطة من أجل التنمية المستدامة (جنة العارف) ، المسار و الدور

في مقابلة مع رئيس الجمعية (الشيخ مراد) صرح بما يلي " تأسيس مؤسسة جنة العارف تعود إلى الشيخ العلوي ، كانت له رغبة في تأسيس جمعية تسمى الجمعية العلمية كان بذلك أول شيخ طريقة يفكر بتأسيس جمعية علمية تتكفل بالأمور العلمية و التقنية. كان يهدف الشيخ من وراء ذلك مساعدة الشباب من اكتساب المهن عن طريق التمكن من التقنية في مختلف المجالات كالزراعة و الصناعة . كان يريد الشيخ تأسيس شيء خارج عن الزاوية و الصوفية .

أما بخصوص تسمية "جنة العارف" فهي تعود قصر الملوك الناصريين في قصر الحمراء بغرناطة . حيث يطلق عليها تسمية généralife من الأصل العربي "جنة العارف" بالفرنسية « jannatal\_Arif » و التي تعني بالعربية "الجنة أو حديقة المهندس المعماري " ( Wikipédia, le20/O5/2017 ) « l'architecte » تعكس هذه الكلمة نظام الفكر الروحي للأرستقراطيين العرب في الإسلام : حياة هنيئة في وسط الحدائق تستحضر الجنة في الإسلام<sup>3</sup> . من هذه الموقع استلهم منه الشيخ خالد التسمية .

أما فيما يخص تسمية المؤسسة بالمتوسطة ، و هو أخ الشيخ خالد بن تونس "الشيخ كان يهتم بكل البحر المتوسط . في 2002 ارادها الشيخ ان تكون في شكل مبادرة مع الجامعة، جامعة مستغانم ، جامعة تلمسان، جامعة الجزائر . و كان المبادرة تحت اسم "مؤسسة دارنا" قبل ان تكون فكرة جنة العارف. لكن المبادرة لم يكتب لها النجاح و الاستمرارية . و نظرا لعدم استجابة الجامعة و استمرارها في الفكرة بدأ الشيخ يفكر في مبادرة أخرى " .

في 2003 بدأ التفكير في تأسيس جنة العارف، و تم تقسيم الأعمال و المهام، في 2004 حضرت شخصيات و الصحافة من اجل الإعلان عن تأسيس المؤسسة و تم إيداع الطلب الموافقة على التأسيس و الحصول على الاعتماد ، إلا أننا لم نحصل على الموافقة الرسمية إلا سنة 2007 . لكننا لم نتوقف عن العمل ، اعتمدنا في ذلك على القانون الذي يمنح الحق في الاعتماد بعد شهرين بعد عدم تلقي أي رد من الإدارة .

تم إيداع الملف على مستوى وزارة الداخلية ، لان الجمعية وطنية . و يمكن تفسير هذا التأخر في الرد لسبب سياسي و هو ان الدولة كانت أوقفت أو شددت الأمر على الجمعيات السياسية لذلك كان هناك حذر و شك من جمعيتنا . لكن بعد ذلك نشاط الجمعية و تواجدها الفعال فرض على السلطات منح الاعتماد الرسمي .

تمتلك المؤسسة 15 مكتب ، قد يصل عدد المنخرطين الى 2000 في كل الجزائر . تدعم هذه الجمعية نشاطات محددة تدرج في اطار الاهتمام بفئات معينة (الاطفال، النساء، الشباب) تتمحور مهمتها في مشاريع ذات منفعة عامة. فتهتم الجمعية بالجانب البيئي و تعمل على دعم كل النشاطات المتعلقة بذلك. العمل على تكوين الشباب في المجال الزراعي

و تنظيم دورات التدريب على استعمال التقنيات الحديثة في الزراعة و هذا ما صرح به أحد أعضاء الجمعية و ما لا حظته أيضا خلال زيارتي لمقر الجمعية. كما أن للجمعية نشاطات أخرى كاهتمامها بتأسيس خزانة للأرشيف و حفظ الكتب و المخطوطات النادرة، المساهمة في الحفاظ على المواقع الاثرية بمستغانم و المساهمة في ترميم المدينة القديمة .

يتضح من أول احتكاك بميدان الدراسة رغبة الطريقة ممثلة في مشايخها في لعب دور أساسي في الحياة العامة منذ الفترة الاستعمارية إلى اليوم ، فالإضافة إلى الدور التربوي و الروحي، تلتزم الطريقة بشكل لافت للانتباه بالقضايا الاجتماعية و الثقافية للمجتمع ، فقد أسست الطريقة الجمعيات ، أصدرت المجلات الدينية و الوعظية(الغالي بن لباد، 2008-2009، ص 173)، و عملت على امتلاك التقنية (آلة الطباعة) الاهتمام بالشباب ... الخ

هذا التوجه من الطريقة منذ تأسيسها، يمكن أن يكون تفسيراً أولياً لما تقوم به الطريقة حالياً من توجهها نحو المجتمع و العمل على الالتزام بقضاياها و مشاكله، و الاهتمام بالشباب من خلال فتح فرص للتكوين و مساعدته على الاندماج في الحياة المهنية، الاهتمام بالجوانب الثقافية، البيئية للمجتمع، تبني العمل الجماعي كآلية لهذا الالتزام بقضايا المجتمع المحلي و حتى العالمي كالجمعية العالمية الصوفية، و الكشافة الإسلامية الفرنسية، جمعية علاج النفوس في فرنسا، هذا الخروج الى الفضاء العام من قبل الطريقة و من المحلي إلى العالمي يعود أيضاً إلى شخصية الشيخ العليوي ، فقد وصفه الباحث جاك بيرك بأنه "مبشر حديث" ( ناصر الدين موهوب الحسني، 2015، ص 220) بالنظر لما كان يكون به مقارنة بالطرق الأخرى و هذا ما صرح به عضو جمعية جنة العارف "يتميز شيخ الطريقة بالنظرة الحداثية للأشياء" و يضيف "يجب على الإنسان أن يكون مندجاً في المحيط الذي يعيش فيه".

### 3- مؤسسة جنة العارف، وساطة للتعامل مع السياسي

أدخل هنا بمناسبة احتفال الطريقة العلوية بالمولد النبوي ، كانت لي محادثة مع احد المشاركين في الحدث ، و هو من عائلة الشيخ خالد ، يشارك أيضا في أعمال و نشاطات جنة العارف ، صرح هذا الأخير بعد إخباره بميدان الدراسة حول الطريقة و المؤسسة المتوسطة للتنمية المستدامة ، أجاب المبحوث "أن الجمعية تقوم بما تعجز الطريقة القيام به في العمل مع الإدارات ..."

بالإضافة للنشاطات التي تقوم بها جنة العارف ، في المجالات المختلفة ، البيئية ، التربوية، التكوين . تضطلع المؤسسة بدور آخر خفي و هي إنها وسيط بين الطريقة الصوفية العلوية و الإدارات العمومية .

فالطريقة نظراً لتكوينها و تكوينها ، باعتبارها بنية تقليدية ، دينية ، لا تمتلك المؤهلات و الشروط الكافية للتفاوض مع الإدارة باعتباره بناء حديثا ، يستوجب التعامل معه إجراءات بيروقراطية يتعذر على الزاوية أو الطريقة الامتثال لها . تعمل مؤسسة جنة العارف إطار تجسيد مشاريعها على التعاون و عقد اتفاقات مع العديد من الإدارات و المحلية .

من بين هذه المشاريع ، مشروع تكوين الشباب في الميدان الفلاحي و الزراعي . حول التقنيات الحديثة في الزراعة . يتنوع التكوين بين الجانب النظري و التطبيقي . تتولى المؤسسة جلب المكونين ، من بينهم مختص في الزراعة من فرنسا في اطار التعاون بين المؤسسة و جمعية (chenelet)<sup>4</sup> بفرنسا.

تعمل المؤسسة في نفس الوقت على التفاوض مع مديريات الفلاحة و مؤسسات التكوين في منح هؤلاء الشباب شهادات تثبت حصولهم على تكوين معين، و مساندهم في تحقيق مشاريعهم على أرض الواقع. من بين دورات التكوين التي قادتها الجمعية أيضا مشروع تكوين مجموعة من الشباب حول طرق تربية النحل، اشرف على هذه الدورة التكوينية مكونين من اسبانيا و فرنسا.

تعمل الجمعية على تطوير فكرة الاقتصاد التضامني، من خلال اشراك مجموعة من الفاعلين حول مشروع معين، يتولى فيه كل طرف انجاز العمل عمل ما و تقديم مساهمته حسب امكاناته و مجال نشاطه. فالجمعية تعمل على اشراك كل من مديرية الفلاحة ، وزارة التضامن، شركة الاقتصاد التضامني ( SDS ) شركة للعمل في مجال الفلاحة و تأطير الشباب، الحصول على مساعدات مالية من الاتحاد الأوروبي، و قد تم الحصول على أربع مساعدات مالية من هذا الأخير حسب تصريح عضو الطريقة نفسه. إشراك كل هؤلاء الفاعلين من أفراد و مؤسسات مستقلة و عمومية من اجل دعم الشباب و مرافقتهم في تحقيق اندماجهم المهني و الاجتماعي.

هذه الوساطة قد لا نجد لها فقط هذه التعاون و التشارك بين الإدارات المؤسسة جنة العارف، بل تأخذ أشكال أخرى أين تتولى المؤسسة استقبال شخصيات في السلطة قد يتعذر حضورها او استقبالها في الطريقة أو الزاوية العلوية . من خلال المقابلات العديدة التي أجريتها مع المبحوثين ، و خطابهم حول دور مؤسسة جنة العارف ، يمكن القول أن "جنة العارف" تشكل مدخلا للطريقة العلوية و الشيخ للتدخل في الفضاء العمومي و السياسي . كما أنها "منطقة وساطة (s.ben néfissa, 2002)، بين الزاوية و الجهاز الإداري المحلي خصوصا و الدولة عموما .

العلاقة بالسياسي قد يشرحها متغير المال ، فالمؤسسة المتوسطة (جنة العارف) تحصل على تمويل لمشاريعها من الاتحاد الأوروبي ، مثل مشروع شجرة «الأرغان» ، و قد يكون هذا الدعم على شكل خدمات تحصل عليه بفضل شخصية الشيخ خالد و شبكة علاقاته العالمية ، مثل مشروع تربية النحل ، حيث جلب الشيخ مكونين من الخارج من أجل تكوين الشباب في هذا المجال،

يفسر هذا التوجه الى الخارج ضمن منطق صوفي يعتمد على الشيخ و وهو "التوجه نحو الآخر" ( aller vers l'autre) رؤية صوفية للطريقة العلوية تقوم على الاعتراف بالآخر ، اشاعة مبدأ التسامح ، و العيش المشترك، لكن هذا هو أيضا استراتيجية من قبل المؤسسة من اجل المحافظة على استقلاليتها و إيجاد مصادر تمويل خارج مؤسسات الدولة .

4\_ جمعية قباها النابض جماعة كاثوليكية، تعمل على اعادة ادماج الشباب المهمشين في المجتمع، الجانحين و الخارجين من السجن . كان استلهم المشروع من هذه الجمعية .

و هذا ما صرح به احد الأعضاء في المؤسسة في مقابلة مباشرة ،(من وصايا الشيخ دائما اتجه نحو الآخر " aller vers l'autre ").

و قد يكون خير مثال على التوجه نحو الآخر هو تأسيس الشيخ خالد للمنظمة غير الحكومية للطريقة الصوفية العلوية (AISA) ، تشغل المنظمة منصب في الأمم المتحدة كملاحظ و مستشار في قضايا التسامح بين الأديان . تعمل المنظمة بالتنسيق مع مؤسسة جنة العارف على التحضير لمشروع اليوم العالمي للعيش المشترك (vivre ensemble).  
4.. عن أي مواطنة يمكن الحديث داخل مؤسسة جنة العارف

الحديث عن العمل الجماعي يقود إلى طرح التساؤل عن مفهوم المواطنة ، ما الذي يدفع شخص ما الى الالتزام و العمل داخل جمعية و الدفاع عن قضايا المجتمع ؟ وما مدى ترسيخ هذه التنظيمات بمختلف تشكيلاتها للحس الوطني خاصة عندما يكون فيها الديني أو الروحي ليس فقط عاملا مؤسسا و إنما أيضا فاعلا ؟  
البحث في الالتزام (l'engagement) في العمل الجماعي و ربطه بمسألة المواطنة يقتضي أولا البحث عن الظروف التي تم فيها الالتزام ، و ثانيا البحث في تمثيلات الفاعلين لهذا الالتزام (M.Salhi, 2013,p.25).  
لذلك حاولت من خلال المقابلات المباشرة و غير المباشرة التي أجريتها مع الفاعلين في مؤسسة جنة العارف معرفة مسار دخول و انضمام الأعضاء لهذا الفضاء من خلال السؤال ، كيف انخرطت في مؤسسة جنة العارف ؟ . من أجل الوقوف على المؤشرات التي كانت وراء الانضمام و الالتزام الجماعي ، هل هو التزام تم على أساس فردي مواطني، أم كان على أسس دينية جماعية ؟ .

في المقابلات المباشرة التي أجريتها مع الأعضاء في مؤسسة جنة العارف ( المؤسسة المتوسطة من اجل التنمية المستدامة) تشابهت كثيرا إجاباتهم حول دوافع انضمامهم إلى المؤسسة .  
اجابت (فاطمة) ، عضو بالجمعية ، تحضر شهادة ماستير في البيولوجيا، تعتبر عضوا نشطا داخل المؤسسة . فهي من يتولى تنظيم ورشات (السبت الأخضر). احد النشاطات التي تقوم بها المؤسسة . "انا كبرت في المؤسسة، احضر للمؤسسة مع والدي منذ الصغر ، كنت احضر هذه الورشات ، وأنا الآن منشطة لإحدى الورشات " . تربط الباحثة علاقة قرابة بالشيخ فهي ابنة أخ الشيخ خالد .

خديجة، 22 سنة، ناشطة بجنة العارف ، طالبة بقسم الصيدلة بجامعة وهران. عند مسألتها عن كيفية انضمامها إلى للعمل ضمن فريق مؤسسة جنة العارف ؟ أجابت الباحثة "والدي مرید في الطريقة العلوية ، و عند مرافقته في زيارته للزاوية تعرفت على جنة العارف " .

الاجابات نفسها تكررت مع الباحثين الذين قابلتهم ، حيث نجد أن العائلة أو الطريقة كانت هي مصدر هذا الالتزام داخل العمل الجماعي . في مقابلة غير مباشرة مع احد الباحثين ، يشغل منصب أمين عام داخل مؤسسة جنة العارف ، في اجابته عن مسار انضمامه الى العمل الجماعي في مؤسسة جنة العارف ، صرح الباحث "أنا مرید في الطريقة ، و كنت احضر كمتطوع ، و بعد حصولي على التقاعد أنا انشط بطريقة نظامية و اشغل منصب أمين عام للمؤسسة " .

من خلال هذه المقابلات نلاحظ أن مسار انخراط المبحوثين في العمل الجماعي كان على أساس جماعاتي ديني و لم يكن التزاما فرديا حرا ، نابعا من ارادة الفرد و استقلاليته . فتواجد هؤلاء الأعضاء داخل مؤسسة جنة العارف كفضاء عام هو امتداد للفضاء الخاص ( العائلة ) بالنسبة للمبحوثات ، و امتزاج بالفضاء الديني الروحي للزاوية بالنسبة للبعض الآخر .

ادن البحث في مسار انضمام و الالتزام الجماعي لهؤلاء الفاعلين ، يدفعنا إلى العودة الى متغيرين أو مؤشرين رئيسيين في قياس درجة هذا الالتزام ، و هما الاقتناع ، و الدافعية أو المحفز . حيث يقوم الاقتناع على الاعتقاد الواقعي بما يفكرون فيه ، و تقوم الدافعية على الإرادة الحرة و المستقلة للأفراد (M.Salhi, opcit, p 25). حضور هذين المؤشرين في انخراط الفاعلين في مؤسسة جنة العارف قد يكون محل تساؤل باعتبار أن غالبية المبحوثين صرحوا أن تواجدهم في مؤسسة جنة العارف كان عن طريق العائلة ، أو باعتبارهم مريدين في الطريقة أو الزاوية العلوية . هذا التداخل بين التنظيمات الطوعية ( الجمعيات ) و التنظيمات العضوية التي ينتمي إليها الإنسان بحكم مولده ( العائلة ) . يعيق بروز الفرد الحر المستقل ، الذي تقوم عليه فكرة المواطنة و يعتبر أحد شروط تكوينها الأساسية (عزمي بشارة، 2008، ص.71) . ادن تواجد الفرد داخل هذه التنظيمات الطوعية كان تواجدا ميكانيكيا ، ناتج عن تمدد الحقل الروحي للاهتمام بقضايا جديدة مدنية ، تفرض عليه التهيكل ضمن إطار قانوني و تنظيمي معين .

لذلك في مقابلتي لرئيس جنة العارف بمستغانم ع. بن حبيب سألته عن مفهوم المواطنة و دور المؤسسة في ترسيخ هذا الوعي ؟ أجاب المبحوث "نستعمل في جنة العارف المواطنة اليقظة (la citoyenneté d'éveil) أو المواطنة المسؤولة (la citoyenneté responsable) .

واصل المبحوث حديثه "المواطنة هي تربية اليقظة لدى الشباب، و هذه المواطنة اليقظة تقوم على شيئين : أولا تقديس الحياة، التي هي اسم الحي ، هي في الإنسان في الحيوان في النبات.

ثانيا ، احترام الآخر و العمل الدائري (le travail en cercle) ، يقتضي هذا المبدأ أن الشخص الذي يمارس السياسة يتخلص من الفكر الانغلاقية . عكس العمل الهرمي (le travail pyramidale)

"المواطنة بالنسبة للمؤسسة ليست بنفس المفهوم في فضاءات نشأتها إنما هي مواطنة من نوع آخر ، يطلق عليها بالمواطنة اليقظة (la citoyenneté d'éveil) تقوم على أسس غير الأسس التي تقوم عليها المواطنة بمنطقها القانوني و الديناميكي أي امتلاك المواطن المساهم ضمن مجتمع سياسي و المتمتع بجميع الحقوق المدنية و السياسية ( أحمد كرومي، 2000، ص.53)، فتقديس النفس و الحياة ، و العمل في الشكل الدائري أسس نابغة من الفكر الصوفي الروحاني . باعتبار أن المواطنة هي امتلاك صفة المواطن المساهم ، المتمتع بالحقوق المدنية و السياسية ضمن مجتمع سياسي، يؤسس للفرد الحر و المستقل (محمد فريد عزي، 2000، ص.35). نجد أنها هي المبادئ التي تدافع عنها المؤسسة من خلال المقابلة المباشرة مع رئيس المؤسسة، و ليؤكد على ذلك ذهب إلى حد القول أن "الطريقة العلوية ليست بحاجة إلى مريدين و إنما هي بحاجة إلى كيف يمكن ايقاض الوعي والضمير من أجل مواطن حر و مستقل". نحن أمام فروقات و تماثلات لا يمكن

فهمها دون ربطها بعوامل اجتماعية و ديمغرافية<sup>5</sup>، يبنى فيها الشباب علاقة جديدة بالواقع و بانتمائه لمؤسسات دينية تقليدية.

## خاتمة

قد لا يكون اختتام هذه الدراسة بنتيجة أو خلاصة يمكن من خلالها الحكم على العلاقة الموجودة بين المؤسستين ، الدينية الروحية من جهة ممثلة في الطريقة العلوية، و المؤسسة المدنية و الحديثة ممثلة في مؤسسة المتوسطة من اجل التنمية المستدامة (جنة العارف) من جهة أخرى، لذلك يبقى عملنا هو وضع على الطاولة مجموعة من المؤشرات و المداخل المعقولة و القابلة للنقاش على حد تعبير إبراهيم صالحى (M.Salhi,2000,p.43) .

إنشاء الطريقة العلوية لمثل هذه التنظيمات، هو محاولة منها للبحث عن فضاء جديد للتحرك و العمل و الانخراط في القضايا و الانشغالات المعاصرة للمجتمع.

تشكل مؤسسة جنة العارف الآلية و الوساطة التي تمكن الطريقة من التمرکز في الفضاء العام و شرعنة تواجدها . فمن خلال المؤسسة المتوسطة للتنمية المستدامة يمكن الحصول على التمويل و الدعم الخارجي (مشروع الأرقان) الشيء الذي لا يمكن الحصول عليه بالطريقة الصوفية . كما أنها آلية للتعامل مع السياسي سواء على المستوى المحلي أو الوطني و حتى الدولي (منظمة غير الحكومية AISA).

إنشاء الطريقة الصوفية العلوية للمؤسسة المتوسطة للتنمية المستدامة قد يكون اعتراف غير مباشر منها بعجز الطريق الصوفية عن التأقلم مع متطلبات المجتمع المتجددة و المتحولة، حيث ذهب أحد الأعضاء إلى التصريح "الطريقة وصلت إلى نهايتها"، لذلك هي تعمل على إنشاء هذه التنظيمات الحديثة و تسييرها وفق منطق صوفي روحاني الذي "لا يمتلك مشروعا سياسيا"، و لكنه يشتغل على الفرد باعتباره هو محور التغيير و التطور. لذلك تركز أعضاء مؤسسة جنة العارف على عنصر التربية و التكوين من أجل إنشاء مواطن مسؤول و متوازن. فالمواطنة في هذه الحالة لا تنبني على المطالبة بالحق و الحقوق المدنية و السياسية ، و لكنها تقوم على المسؤولية التي تقع على عاتق الفرد بمفهومها الروحاني الكوني و ليس المدني و السياسي .

## قائمة المراجع:

- الغالي بن لباد، الزوايا في الغرب الجزائري \_ التيجانية و العلوية و القادرية \_ دراسة انثروبولوجية، اطروحة دوكتوراه، جامعة ابو بكر بلقايد، تلمسان، 2008\_2009.

- الحسن بن ناصر الدين موهوب، (2015)، الشيخ العلوي المستغاني\_حياته مآثره، منشورات العالمين، الطبعة الأولى، الجزائر.
- احمد كرومي.(2000). الحداثة و المواطنة و الحقل الفقهي\_عناصر من اجل مقارنة اشكالية\_مجلة "انسانيات"، الجزائر، الكراسك\_وهران\_العدد 11، ، ص 53\_65.
- بشارة عزمي، (2008) المجتمع المدني\_دراسة نقدية\_مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- محمد فريد عزي. 2000. الاسلام و التمثلات السياسية: دراسة ميدانية حول التدين و الثقافة السياسية، مجلة "انسانيات"، الجزائر، الكراسك - وهران-العدد 11، ص 35\_52.
- \_ Ben Néfissa Sarah et Hanafi.(2002). Associations et pouvoirs dans le monde arabe. « collection Annuaire de l’afrique du nord ». Paris, édition du CNRS .
- \_ Mohammed Mebtoule. (1999). situation de violence, « journal des anthropologues », France, AFA, n° 76.
- \_ SALHI Mohammed Brahim.(2013).( reconstruire et produire le lien social dans la société civile algérienne du 21eme siècle, DGRSTet CRASC, Algérie.
- \_ bouillon florence et autres.( 2006). terrain sensible\_expérience actuelles de l’anthropologie, centre d’étude africaines EHESS, Paris.
- \_ Lapassade george.( 1991). l’éthno\_sociologie, librairie des Méridiens Klincksieck et ciel, Paris.
- \_ MondherKilani.( 1987). l’anthropologie du terrain et le terrain de l’anthropologie\_observation\_description et textualisation, Réseaux, france, n°27,p 39\_7.